المحور الثاني : قضايا الفلسفة (مباحثها) .

تمهيد :

إذا كانت الفلسفة محاولة لإدراك العالم في صورته الكلية بوسيلة الفكر (النظري) ، فإن مجالها أعم المجالات وأكثرها تجريدًا، لأن مشاكل الفلسفة هي معاني الأفكار الأساسية و حقيقتها ، و العلاقات المنطقية بين الأفكار في هذه المشكلات التي يستعصي على العلوم التجريبية الوصول لحل لها ، لأن كل علم يخصص جزء من الواقع موضوعا لبحثه ، أما الفلسفة كما عرّفها أرسطو فإنها **" البحث في الوجود بما هو موجود"** ، إذ لا تتقيد بقسم واحد من الوجود كما تفعل العلوم ، و لذلك فإن تعريف أرسطو نستطيع أن نقول عليه أنه ما يزال صالحا إلى غاية الآن ، فهو يجعل من موضوع الفلسفة المبادئ القصوى لهذا الوجود و غاياته البعيدة أيضا ، أي المبدأ الذي يبدأ منه هذا الوجود و الغاية التي ينتهي اليها ، و إذا كان هذا هو حال الفلسفة و لا زال إلى غاية الآن فإنه يمكن حصر المشكلات - القضايا - التي تعالجها فيما يلي :

أ - قضايا المعرفة (الابستمولوجيا- Epistémologie) : و فيها تطرح الفلسفة تساؤلات متعلقة بالمعرفة الانسانية من حيث إمكانها ، مصادرها ، طبيعتها ، حدودها ، قيمتها ، وسائلها ، أنواعها...الخ

ب- قضايا الوجود (الأنطولوجيا- Ontologie) : و يبحث الفكر الفلسفي في هذه القضايا تلك المشاكل المتعلقة بالوجود مثل : هل الوجود واحد أم متعدد ؟ كما تبحث الفلسفة هنا في ما يسمى بحقيقة الموجودات و أدلة الوجود و العدم و الحرية و مسائل ما بعد الطبيعة...الخ

جـ - قضايا القيم (الأكسيولوجيا - Axiologie) : و هنا تتناول الفلسفة المشاكل المتعلقة بالقيم ، مثل البحث في صحيح الفكر و فاسده (علم المنطق)، و السلوك و نتائجه من حيث الخير و الشر (علم الأخلاق) ، و أخيرا تبحث الفلسفة في ذوق الانسان من حيث الجميل و القبيح (علم الجمال) .

1- نظرية المعرفة - Epistémologie :

و تسمى نظرية المعرفة[20] بالابستمولوجيا[21] و لا يفرق الناطقون بالانجليزية بين المصطلحين، لكن الفرنسيون يعبّرون عن الابستمولوجيا بتلك المعرفة النقدية لمبادئ و فروض و نتائج المعرفة العلمية و مناهجها و قيمتها و حدودها . و نظرية المعرفة كما عرّفها **'روزنتال Rozanthal '** هي : **" قسم هام من النظرية الفلسفية و هي نظرية في مقدرة الانسان على معرفة الواقع و مصادر و أشكال و مناهج المعرفة و الحقيقة و وسائل بلوغها "** . و هكذا يمكن القول أن نظرية المعرفة تتناول :

أ- البحث في العلاقة بين الفكر (الذات- Sujet) و الوجود (الموضوع - Objet) من حيث الأسبقية أو الأولوية .

ب - البحث في قدرة الانسان على تحصيل المعرفة و الوصول الى الحقيقة و مصادرها ، و الأدوات المستعملة في ذلك .

جـ - تتناول نظرية المعرفة مشكلة الحقيقة و الحقيقة العلمية .

تلك هي إذن أهم النقاط التي تتعرض لها نظرية المعرفة في تناولها لمسألة المعرفة و ما تعلق بها من اشكاليات . هذه الاشكاليات يمكن أن نلخصها في الأسئلة التالية :

1- هل المعرفة ممكنة ؟ / 2- ما مصدر المعرفة ؟ / 3 - ما طبيعة المعرفة ؟

و عليه و بناء على تلك الاشكاليات التي تمثل محور المناقشات الفلسفية حول نظرية المعرفة فإننا سنحاول بشيء من التحليل و المناقشة التطرق إلى كبريات النظريات الفلسفية التي تعرضت إلى ذلك .

---

(20) **نظرية المعرفة 'Théorie de la Connaissance '** مصطلح أول من استعمله هو الفيلسوف الألماني ' رينهولد ' Reynhold ' سنة 1789 في كتابه ' **أساس العلم الفلسفي** ' و ذلك في اطار الاهتمامات المعرفية للمدرسة الفلسفية الألمانية بوجه عام و المدرسة الكانطية بوجه خاص . كما نجد مصطلحًا مرادفا له هو النظرية العرفانية 'Gnoséologie ' و هي كلمة تتألف من Gnose = المعرفة و Logie = العلم و يكون المعنى الاصطلاحي هو علم المعرفة أو النظرية العرفانية و هو مصطلح مستخدم كثيرا من طرف الماركسيين و منهم ' لينين 'Lénine ' الذي حدد المحتوى المعرفي لهذا المصطلح في كتابه دفاتر فلسفية سنة 1915 من خلال علاقة الوحدة بين المنطق و نظرية المعرفة و الدياليكتيك (الجدل) .

(21) **الابستمولوجيا Epistémologie** مصطلح جديد صيغ من كلمتين يونانيتين. ابستمي Epistémé و معناها علم و لوغوس Logos و من معانيها علم ، نقد نظرية دراسة ،...الخ، فالابستمولوجيا إذن من حيث الاشتقاق اللغوي هي " علم العلوم" أو " الدراسة النقدية للعلوم " و هذا ما لا يختلف كثيرا عن معناها الاصطلاحي .

1-1 - إمكانية المعرفة :

يقصد بإمكان المعرفة حدودها، وما هو المدى الذي يستطيع الانسان أن يبلغه بعلمه لو مكنته ظروف التحصيل من ذلك .

أ - المذهب الشكي (اللاأدريين Scepticisme) :

للنزعة الشكية في التفكير الفلسفي جذور عميقة بحيث تمتد إلى غاية مرحلة ما قبل سقراط، فلقد شك **بارمنيدس Parménide** (515 – 440 ق.م) في المعرفة الحسية ، كما شك **هيرقلطس Héraclite** (536 – 470 ق.م) في المعرفة العقلية ، و اعتبر أن كل شيء متغير يقول : **" لا يستطيع الانسان أن يعبر النهر مرتين"**.

كما شك أيضا السفسطائيون (حوالى القرن 5 ق .م) في الحقائق و اعتبروا أنها فردية متغيرة ، متعددة نسبية ، تختلف باختلاف الأفراد فـ : **" الإنسان مقياس الأشياء كلها "** فيما يقول **بروتاغوراس Protagoras** (490 – 420 ق.م) .

و يعود ظهور الشك في صيغته الفلسفية تاريخيا إلى المدرسة الشكية أو المدرسة البيرونية (نسبة إلى مؤسسها بيرون) **Pyrrhon** (360 - 270 ق.م) التي اعتقدت أن العقل الانساني عاجز عن فهم الحقيقة – أي حقيقة الأشياء – لأن الأشياء تظهر مختلفة لأفراد مختلفين ، و عليه فكيف لنا أن نعرف اليقين ؟ و مادام الأمر كذلك أي ليس من الممكن التأكد من الأشياء وجب علينا **تعليق الحكم (Suspension de jugement)** أي التوقف عن اصدار الأحكام حول الموضوعات و القضايا .

و يعترف **أبو حامد الغزالي** (1059 – 1111) يعترف بدور الشك (المعتدل – المنهجي) في عملية المعرفة إذ يقول في آخر كتابه **ميزان العمل : " من لم يشك لم ينظر و من لم ينظر لم يبصر و من لم يبصر يبقي في العمى و الضلال "** ، و قد شك **الغزالي** شكا منهجيا لم يخشى فيها النتيجة المترتبة ، فهو لم يشك فقط في المحسوسات بل حتى في المعقولات وهو ما تحدث عليه في كتابه **المنقذ من الضلال** .

كما اعتمد **رينيه ديكارت R . Descartes**(1596 – 1650) على الشك المنهجي الذي يستهدف بلوغ اليقين وهو شك قائم على مبرر رفض ما لم يثبت بصفة يقينية ، بديهية و واضحة يقول في كتابه' **مقال الطريقة ' (Discours de la Méthode)** : **" فكّرت أن من الو اجب عليّ أن أطرح جانبا كل ما قد أتخيله موضع شبهة و ارتياب ، و أن أشطبه بوصفه فاسدا بإطلاق و ذلك لأرى ما سيبقى لي بعد ذلك من أمر ثابت و صحيح ، و يكون قابلا للثقة الكاملة "** ، وقد شك **ديكارت** في كل الموضوعات : في المعارف التي تلقاها عن أساتذته ، في الحواس ، في جميع الأفكار ، الأدلة الرياضية .

و لا ننسى في هذا السياق الشك الذي أقامه الألماني **كانط I. Kant**(1724 – 1804) على المعرفة ، حيث ميز بين نوعين من العوالم، أولا **عالم الظواهر** (**Phénomènes**)، و فيه تكون المعرفة ممكنة جدا و هو عالم الطبيعة أو الخبرة الممكنة و ثانيا **عالم الظواهر في ذاتها (Noumènes)** و تكون فيه المعرفة غير ممكنة و كل ما يمكننا ازاء هذا الأخير هو التسليم بظواهره و معارفه مثلما نسلم بوجود حقائق ميتافيزيقية : وجود الله ، النفس ، خلودها ... الخ

أما عن فكرة الشك في الفلسفة المعاصرة فإننا نجد **جورج سنتيانا G. Santayana** (1863 – 1953)في كتابه ' **الشك وإيمان الحيوان**' حاول أن يعيد النظر في نظريات المعرفة التي عرقلت نمو و تطور الفلسفة و قد تبين له أن أسوأ ما يقع فيه الفكر هو قبوله الآراء التقليدية قبولا أعمى ، لهذا فهو يبدأ بالشك ، و قد كان مستعدا للشك في كل شيء يقول : " **يصل الينا العالم الخارجي من خلال الحواس ، فيمتزج بصفاتها و خصائصها ، و تأتي لنا الحوادث الماضية عن طريق الذاكرة التي تؤثر فيها الرغبة و تلونها كما تشاء إذن فالعالم كما يظهر لنا و الماضي كما نذكره قابلان للشك** " ، و يثق **سنتيانا** في تجربة اللحظة فحسب فهذه الصورة و هذا اللون و هذا الطعم و هذه الرائحة ، و هذه الصفة كل تلك الامور و غيرها هي العالم الحقيقي و ادراكها يكشف عن الجوهر .

ب- المذهب الوثوقي أو النزعة التوكيدية (الدوغمائية Dogmatisme) :

تطلق صفة النزعة التوكيدية - الدوغمائية على كل مذهب لم يمهد لأطروحاته و أفكاره **بالتحليل** و **المناقشة** و **النقد** الكافي ،و ترى هذه النزعة أن المعرفة الانسانية لا حد لها تقف عنده ،فإن قصَّر الانسان في معرفة الكون بكل ما فيه ، فما ذلك لقصور في طبيعة عقله أو طبائع الأشياء ، إنما هو قصور مرهون بزوال العوائق فيزول .

و الدوغمائيون أو الوثوقيون هم بصفة عامة أصحاب المذهب العقلي و التجريبي على السواء ، فكلا المذهبان - قبل كانط - كان يعتقد في مصدر المعرفة التي يأخذ به ، و لا يرى مانعا في أن يستقي من ذلك المصدر علما بكل شيء . اذ يذهب هؤلاء الى الايمان ايمانا حقيقيا و مطلقا بصدق آرائهم ، و بأن ما عادهم وهم باطل ، فمذهب و رأي الفيلسوف هما من يمثل الحقيقة . وأن الحقائق في نظرهم لا تتغير بتغير الزمان و المكان.

و يعد الألماني **كانط** أول من انتبه إلى هذه النزعة و انتقدها بشدة من خلال مذهبه **النقدي** ، و نشير هنا إلى أن هناك أنواعا من النزعة الدوغمائية ، فهناك **الدوغمائية الساذجة** و التي يمثلها رجل الشارع

و هناك **الدوغمائية المادية** التي تدافع عن الإيمان بالواقع المادي (العلم)، و هناك **الدوغمائية الدينية**[22] . و أخيرا هناك **الدوغمائية الفلسفية** .

2-1 - مصدر المعرفة :

أ – الإتجاه العقلاني Rationalisme :

تطلق **العقلانية** (Le Rationalisme) على التيار الفلسفي الذي يقر أن العقل هو **مصدر المعرفة الحقيقية** ، و ترفض العقلانية كل ما هو مخالف للعقل أو ما يعجز العقل عن تفسيره ، و يتمسك رواد هذا المذهب بالقول أن العقل وهو قوة أو مَلَكَةٌ (Faculté) فطرية تضم العديد من المبادئ البعيدة عن التجربة و الخرافة : مبدأ الذاتية ، التناقض ، الثالث المرفوع السببية ...الخ ، هذه المبادئ و غيرها من المبادئ فطرية ، عامة - كلية ، مطلقة ، ضرورية [23]، و هي ليست محل اكتساب تجريبي ، و إنما هي قائمة في العقل منذ نشأته ، و عليه تصبح الأوليات أو البديهيات العقلية حقائق واضحة بذاتها ، و من ثمة كانت صادقة في كل زمان و مكان .

و يعتبر أب الفلسفة الحديثة **رينيه ديكارت** مؤسس المذهب العقلاني في الفلسفة الأوروبية الحديثة ، لأنه رد للعقل سلطته الحقيقية بعد تهديمها من طرف المدرسة الشكية ، كما رفض **ديكارت** السلطة الدينية التي فرضتها الكنيسة ، و رفض **ديكارت** النسق الارسطي كمصدر من مصادر المعرفة ، و قام برد الحقيقة و كل الحقيقة الى العقل وحده ، جاعلا من البداهة و الوضوح معيارا للخطأ و الصواب .

و في كتابه ' **مقال الطريقة ' (1637)** حدد **ديكارت** المنهج العقلاني من خلال أربعة خطوات أساسية هي : 1- البداهة 2- التحليل ، 3- التركيب ، 4- الاحصاء ، و يلخص أسلوب المعرفة العقلانية من خلال عمليتين عقليتين محضتين هما الحدس و الاستنباط [24] .

---

(22) يعتبر **القديس أنسلم St. Anselme** (1033 – 1109) من أبرز الدوغمائيين المتدينين ، و يقرر أنه لا بد من أن يترسخ لدينا الايمان قبل اقامة البرهنة العقلية ، و عليه كان الايمان هو المعطى الأول الذي يتم الانطلاق منه ، و التعقل يفترض مبدئيا وجود الايمان . أي " **أؤمن لكي أتعقل** " ، و بمعنى آخر انه يجب أن نؤمن في المرحلة الأولى ايمانا راسخا بأسرار العقائد الايمانية ، و في المرحلة الثانية علينا أن نسعى لفهم تلك الاسرار و العقائد ، و التوقف في عملية المعرفة في المرحلة الاولى هو اهمال ، اما البدء مباشرة بالمرحلة الثانية فيعد نوعا من الغرور ، ومن ثمة لا ينبغي الوقوع لا في الاهمال و لا في الغرور .

(23) يقصد بمبادئ العقل أنها كلية أي انها مشتركة بين جميع الناس ، و مطلقة تعني أنها لا تتغير بتغير الزمان و المكان ، و هي ضرورية معناها انها واضحة بذاتها ذو نتيجة حتمية عامة.

(24) **الحدس** هو الرؤية العقلية المباشرة التي يدرك بها الذهن بعض الحقائق دون وسائط فمعرفتي لنيجة العملية الحسابية التالية 1+1 = 2 لا يحتاج إلى عمليات عقلية معقدة و نفس الأمر بالنسبة لحدوسنا الحسية و النفسية ، كما يعتبر الحدس نظرة عقلية تبلغ من الوضوح و التميز تجعلها بعيدة عن الشك ، في حين أن **الاستنباط** و هو عبارة عن استدلال نستخلص فيه النتائج من المقدمات أو هو انتقال الفكر من المقدمات العامة الى النتائج الجزئية و هو عكس الاستقراء .

و على العموم فالإنسان في اعتقاده **ديكارت** إذا استطاع أن يسلك قواعد المنهج (يطبقها) مع استخدام كل من الحدس و الاستنباط في ثنايا المنهج فانه حتما سيصل الى المعرفة اليقينية .

ب - الاتجاه التجريبي Empirisme :

تعني **التجربة (L' Expérience)** في المعنى العلمي ملاحظة الظواهر ضمن شروط علمية معينة بغية دراستها و استخراج قوانينها ، و التجريبي هو ما يستند على التجربة و لا يكتفي بالاعتبارات العقلية و التجريبية تيار معرفي – فلسفي يعتقد أن مصدر المعرفة هو التجربة (الحس) . و يعتبر **فرانسيس بيكون F. Bacon** (1561 – 1626) أحد رواد الفلسفة التجريبية حيث دافع عن ضرورة السيطرة على الطبيعة و تسخيرها لصالح الانسان ، و أن المعرفة هي نتاج التجربة ، و قد ساهم من خلال كتابيه **' تفسير الطبيعة'** و **' الأورغانون الجديد '** [25] في بيان ضرورة التخلي عن الأحكام المسبقة ، و بدلا من ذلك يجب فرض (أي تطبيق)الملاحظة الدقيقة و التجربة .

و يذهب في هذا السياق **جون لوك J. Locke** (1635 – 1704) الى أن العقل يولد صفحة بيضاء و التجربة الحسية هي التي تخط سطورها على هذه الصفحة البيضاء ، و قد رفض **لوك** القبول بالآراء الفطرية التي قال بوجودها العقليون ، و لو كان ذلك حقيقيا لتساوى جميع الناس في كل زمان و مكان في العلم ، أما **هيوم D. Hume** (1711 – 1776) فقد قسم ادراكاتنا إلى قسمين هما : الانطباعات أو الآثار الحسية من ناحية و الأفكار من ناحية أخرى ، و الأفكار في رأي **هيوم** ليست إلا صور باهته متضائلة ضعيفة التأثير للانطباعات الحسية . ففكرتي عن الشيء الذي أمامي عبارة عن صورته الحسية التي انطبعت على حواسي ، و لكن بعد أن ضعف تأثيرها و أ صبحت باهته ، و لو ظلت الصورة الحسية لهذا الشيء على قوتها وقت انطباعها على حواسي لما تحولت الى فكرة . يقول في كتابه **'بحث في الطبيعة الانسانية'** : **" كل ادراكات العقل الانساني ترجع الى حسين متميزين ، الانطباعات و الأفكار"** .

(25) **الأورغانون الجديد** أو **الأداة الجديدة** كتاب ألفه بيكون كمساهمة في اصلاح اساليب التفكير و اكتشاف طريقة جديدة في البحث العلمي ، حيث ينقسم الكتاب الى قسمين ، قسم انتقد فيه بحدة الاطر السابقة للعلم و الفلسفة و أكد أن الفلسفة القديمة أي فلسفة أرسطو و اتباعه من المدرسيين قد فشلت بسبب عقمها النظري ، أم القسم الثاني فقد خصصه لعرض آرائه الجديدة و التي يكون في مقدمتها السيطرة على الطبيعة و منه يجب أن يكون المنهج العلمي عمليا و ليس نظريا .

د - الاتجاه الذرائعي[26] - البراغماتي Pragmatisme :

أو مذهب الفعل و السلوك ، و البراغماتية مذهب فلسفي معاصر ظهر و ازدهر في الولايات المتحدة الأمريكية و انجلترا حيث يرفض أن تكون المعرفة نظرية و تأملية خالصة (نقد الفلسفة التقليدية) ويقول بإرجاع الحقيقة إلى المنفعة . كما تذهب البراغماتية إلى أن معيار صدق الأفكار هو في عواقبها العملية و الحقيقة تعرف من نجاحها .

غير أنه تجب الإشارة هنا إلى أن مبادئ البراغماتية عرفت تأويلات مختلفة من طرف روادها ، و درجات من التفاوت و الاختلاف ، و على حين أن التيار الأكثر تشددا يعلن أن القضية الصحيحة هي التي تؤدي إلى نجاح فردي ، فإن التيار الأكثر اعتدالا يرى أن الحقيقي هو ما يمكن التحقق من صدقه بوسيلة الوقائع الموضوعية ، و سواء كان هذا أو ذاك . فإن كل براغماتي يرى أن **المنفعة** و **القيمة** و **النجاح** هي المعايير الوحيدة للحقيقة ، أما ما يختلف بشأنه البراغماتيون فيما بينهم فهو شرط هذه المنفعة.

و يعتقد **شارل بيرس C. Peirce** (1839 – 1914) في مقال كتبه سنة 1878 م تحت عنوان : **' كيف نجعل أفكارنا واضحة ؟ '**يعتقد فيه أنه لكي نجد معنى للفكرة يجب أن نفحص النتائج العملية المترتبة عن الفكرة . فبدون هذا المعيار يظل الصراع حول معنى الفكرة غير منتهيا ، و لا يؤدي الى أي فائدة ، و بدلا من التساؤل عن مصدر الفكرة ، فإن البراغماتية تتجه صوب نتائجها و هو الأمر الذي ساهم في تحويل التفكير نحو العمل بدل التأمل ، من هنا عرّف الممثل الثاني للبراغماتية **وليم جيمس W. James** (1842- 1910) الحقيقة بأنها : **" القيمة الفورية للفكر"** .

و يذهب **جيمس** إلى إقامة نظريته في المعرفة على التجربة ، هذه التجربة تختلف في معناها عن التجربة البريطانية و بمعناها التقليدي- العلمي ، و هو يقصد بها النجاح ، المنفعة ، الحقيقة . ففي ميدان التجربة النفسية أو العقلية يُعتبر الحقيقي ما هو مفيد للفكر و ما يزودنا بالمعقولية و هو الشعور بالراحة و السلام . أما في ميدان التجربة الفيزيائية فالفائدة تكمن في التنبؤ و العمل و التأثير في العالم الخارجي . بينما يكون الاعتقاد حقيقيا في التجربة الدينية إذا ساهم في تحقيق الطمأنينة للنفس و مساعدة الانسان على تحمل تجارب الحياة ، و مثال ذلك أن الاعتقاد إذا كان مؤديا الى تغيير سلوك المؤمن فهذا الايمان حقيقي و هو ما يحمل معنى الألوهية .

---

(26) **الذرائعية أو الأداتية (Instrumentalisme)** عند جون ديوي (1765 - 1952) تعني أن حياة الانسان ليست في جوهرها إلا محاولة متواصلة من جانبه ليتم له التوافق مع البيئة المحيطة به و الانسان أو الكائن الحي بوجه عام الذي لا يستطيع ايجاد الوسائل او الذرائع التي يحقق بها توافقه و تكيفه مع بيئته مصير حتما الموت (البراغماتية هنا استلهمت هذه الفكرة من نظرية تشارلز داروين البيولوجية و القائلة بفكرة البقاء للأقوى)، أما الأفكار فليست في اعتقاده إلا هذه الوسائل أو الذرائع التي يوظفها الانسان في حياته لتحقيق هذا التوافق.

1- 3 - طبيعة المعرفة :

أ - الفلسفة المثالية Idéalisme :

المثالية بالمعنى العام لها كما ذكرها **اندريه لالاند A. Lalande** (1867- 1963) في معجمه الفلسفي هي : **" الاتجاه الفلسفي الذي يرجع كل وجود الى الفكر بالمعنى الأعم لهذه الكلمة ، و المثالية بهذا المعنى تقابل الواقعية الوجودية "** أو هي: **" المذهب الذي يقر بأن الاشياء الواقعية ليست شيئا آخر غير أفكارنا نحن ... و أنه ليس هناك حقيقة إلا ذواتنا المفكرة . أما وجود الأشياء فقائم في أن تكون مدركة عن طريق هذه الذوات و لا حقيقة لها وراء ذلك "** . و بصفة عامة يتلخص الموقف المثالي في نقطتين :

1- سلبية : أي تقرير حقيقة سلبية ، حيث أن الاعتقاد باستقلال الطبيعة و اكتفاءها بذاتها ليس إلا مجرد وهم، لأن الطبيعة و أن كانت تبدو أنها لا تعتمد على شيء آخر في سيرها و قوانينها إلا أنها تعتمد فعلا على شيء آخر غير ها .

2- ايجابية : أن هذا الشيء الآخر الذي تعتمد عليه الطبيعة هو العقل أو الروح سواء في ذلك العقل الفردي أو العقل الكلي الالهي .

هذا و تنقسم المثالية إلى عدة اتجاهات . سنحاول فيما يلي توضيح موقفها من طبيعة المعرفة .

1- المثالية الذاتية (اللامادية Immatérialisme) :

و يمثلها **بركلي G. Berkeley** (1684 – 1753) و يعتقد بأن الفلاسفة يدَّعون وجود جوهر مادي خارج عقولنا و تصوروا هذا الجوهر على أنه وعاء - قالب(Moule) يضم جميع الصفات الطبيعية المختلفة من امتداد ، شكل ، لون طعم ، رائحة ...الخ و هي الصفات التي نصف بها الأشياء المادية . هذه الأخيرة كلها لا وجود لها إلا في عقولنا ، لأنها ليست في نهاية الأمر إلا افكارنا نحن عن الأشياء المادية ، أو الصور الذاتية عنها.

إن ذلك الجوهر المادي إذا ليس إلا مجرد وهم باطل وعليه وجب التخلص منه و الغاء وجوده ، و من أجل ذلك سمى **بركلي** مثاليته باللامادية ، أي الفلسفة التي تلغي وجود المادة و تلغي الصفات المادية باعتبارها قائمة خارج عقولنا مستقلة عنها و ينظر إليها على أنها الصور الذهنية التي يخلعها (يتركها) العقل على الأشياء . و بهذا تكون مثالية **بركلي** تقوم على فعالية العقل ، و أن ما في الواقع يتطابق مع ما في الذهن ، و العكس ليس صحيح .

2- المثالية النقدية Idéalisme Criticisme:

في موقفه المعرفي حاول **كانط** أن يتجاوز كل من موقف العقلانيين و التجريبيين من مسألة طبيعة المعرفة ، حيث يسلم **كانط** بأن للأشياء وجودا واقعيا مستقلا عن الذات ، إلا أن معرفة هذه الأشياء تتوقف على قدرة العقل (الملكة العاقلة) فللعقل صور و مقولات (Catégories) من بينها مقولتي الزمان و المكان اللتين تعتبران صورتان أوليتن سابقتان عن كل تجربة و المعرفة في المذهب النقدي - الترنسندنتالي (Transcendantal) لا تقوم إلا إذا توفر شرطان رئيسيان هما :

أولا : الفهم (Compréhension) و **ثانيا** : الحساسية (Sensibilité) . حيث أن المعرفة تبدأ من التجربة الحسية وهي بَعْدية (A posteriori) و هي تلك الانطباعات الحسية التي تنقلها الحواس لنا عن الأشياء و هي مادة المعرفة ، و لكن هذه الأخيرة لن يكون لها معنى إلا اذا تدخل العقل و رتبها و نظمها وفق تصوراته أي وفق مقولاته و هو ما يسميه **كانط** بـ : صورة المعرفة وهي قَبْلية (A priori) ، و يدعوها بـ : ملكة الفهم ، فعالم الأشياء كما تنقله لنا الحواس يتميز بالشتات ، أي لا يمكن فهمه و العقل هو الذي يربط بين هذا الشتات ، و يحوله الى معرفة بفضل مقولاته : الكم ، الكيف ، العلاقة ، الجهة ، و عليه فالعقل يمكن أن يتعرف على مادة المعرفة (الأشياء) بمساعدة مقولاته التي تعتبر أصولا متعالية (Transcendantal)[27]

و في النهاية يطلق **كانط** عبارته الشهيرة المعبرة عن طبيعة المعرفة المتعالية فيقول : **" المفاهيم بدون حدوس حسية تظل جوفاء و الحدوس الحسية بدون مفاهيم تبقى عمياء "** .

ب - الفلسفة الواقعية Réalisme :

تطلق **الواقعية** (Le Réalisme) على مجموع المذاهب التي تتفق على أن للأشياء الخارجية (الموضوعات) وجودا عينيا مستقلا عن العقل (الذات) الذي يدركها ، بل و عن جميع أفكار ذلك العقل و أحواله ، و أن مختلف المعارف و الافكار التي يتضمنها العقل مطابقة لحقائق الأشياء المدركة ، فليس العالم الخارجي كما هو مدرك في عقولنا إلا صورة لهذا العالم كما هو موجود في الواقع ، و من هنا نقول أن هناك تطابق بين الفكر و الموضوع ، و المعرفة في النهاية عند الواقعين هي انعكاس العالم الخارجي (الموضوع) على العقل (الذات) . و هكذا تكون الفلسفة الواقعية تقف موقف مناقض و معاد تماما من أطروحة الفلسفة المثالية حول مسالة طبيعة المعرفة .

---

(27) **متعالٍ (Transcendantal)** : ارتبط هذا التعبير باسم الفيلسوف الالماني امانويل كانط و به عرفت فلسفته في شقها المتعلق بنظرية المعرفة ، و المعرفة عنده تتألف من معطيات تقدمها الحواس تكون بغير نظام و من مقولات عقلية (أفكار في العقل) تنظمها فإذا قلنا : الكتاب فوق الطاولة ، احساسي الكتاب و الطاولة يكونان بالحواس ، لكن فوق لا تأتي عن طريق الحواس بل هي فكرة المكان الموجود في العقل وجودا قبليا يتعدى الواقع المادي المحسوس ، و هذا النوع من التفلسف عُرف بالفلسفة المتعالية .

1- الواقعية الساذجة (الموقف الطبيعي Sens Commun) :

تنطلق هذه الفلسفة في تحليل طبيعة المعرفة من موقف الانسان العادي الذي يعتقد أن الحقيقة الأشياء في العالم الخارجي هي الحقيقة ذاتها ، و لا حقيقة من بعد ذلك ، و أن كل ما يعرفه عنها هو تجسيد حي لخصائصها ، و عليه فهناك تطابق تام و نهائي بين مختلف الأفكار و التصورات العقلية ، و بين مظهر الأشياء كما تبدو . فمظهر الشيء هو حقيقته و طريق المعرفة في هذه الفلسفة انما هو الحواس و هو الأمر الذي أكد عليه **توماس ريد T. Reid** (1710 – 1796) و دافع عن الموقف الطبيعي الذي يعتقد اعتقادا دوغمائيا في وجود الأشياء ، و لا يشك فيها أبدا و مثال ذلك : أن معرفتنا لهذا الكتاب من خلال مظهره هي معرفة حقيقية لأنها تتطابق مع خصائصه أو طبيعته الحسية .

و الخلاصة أن المعرفة عند هذه الفلسفة تتسم بالعمومية المطلقة لأن معرفة الطلاب مثلا لطبيعة الكتاب هي معرفة واحدة و مشتركة.

2- الواقعية النقدية Réalisme Criticisme :

تذهب هذه الفلسفة إلى اعتبار أن تصورات الإنسان عن العالم الخارجي (الأشياء ، الموضوعات) تتكون من أفكاره و انطباعاته الحسية ، و يذهب **برتراند رسل B. Russell** (1872 - 1970) إلى أن عملية المعرفة تبدأ من المعطيات الحسية المباشرة التي نكونها عن الشيء (الموضوع) الذي نريد معرفته ، و أن المعطيات الحسية يمكن تشمل عدة أشخاص عند معرفتهم للشيء الواحد لأنها عامة ، و لكنها قد تخص ذاتا عارفة واحدة و ليس في هذا تناقض ، فالأجسام أو الأشياء عامة هي تركيب منطقي لهذه المعطيات .

و على العموم نقول أن معرفة الأشياء (الموضوعات) تقوم من خلال التأليف بين خبراتنا الحسية و قدرتنا الحسية أو المنطقية و منه يكون **رسل** بدوره قد وقف موقف وسطي – معتدل من مسألة طبيعة المعرفة على غرار الألماني **كانط** ، و نزع صفة السذاجة عن الفلسفة الواقعية ، ومنحها بُعدا عقليا ، و لكنها رغم ذلك تبقى تدور في فلك التيار الواقعي العام .